الفصل الثاني

أوضاع ليبيا السياسية إبان الحكم العثماني الأول 1551- 1711

المبحث الأول: عهد الولاة العظام

المطلب الأول: السياسة العامة للدولة العثمانية في حكم ولاياتها العربية بما فيها طرابلس الغرب.

المطلب الثاني: ولاية مراد أغا 1551- 1553.

المطلب الثالث: ولاية درغوث باشا 1553- 1565 .

المبحث الثاني: العهد الانكشاري في ليبيا (1565- 1711).

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الانكشارية.

المطلب الثاني: مراحل حكم الولاة الانكشاريين لايالة طرابلس الغرب.

المبحث الأول

عهد الولاة العظام

المطلب الأول: السياسة العامة للدولة العثمانية في حكم ولاياتها العربية بما فيها طرابلس الغرب

كانت سياسة الدولة العثمانية تقوم على تغيير الولاة في فترات متقاربة، حيث بلغ عددهم في ليبيا منذ 1551-1711 م، نحو واحد وأربعون واليا (أنظر الملحق الأول). ولا شك ان هذه السياسة أدت الى تدهور أحوال الشعب العربي الليبي على كافة الأصعدة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والفكرية.

لقد طبقت الدولة العثمانية نظاما سياسيا واحدا في كل أجزاء الوطن العربي، الذي خضع لنفوذها حيث قسمته الى أربع وعشرين ايالة منها ايالة طرابلس الغرب، وكان هذا النظام كما يلي:

1- الوالي: يعيّن من قبل السلطان، ويلقب بالباشا، وهو أعلى سلطة في ولايته، برتبة وزير، وهو الآمر الناهي، يصدر أحكام الإعدام دون الرجوع للسلطان، مدة ولايته سنة واحدة قابلة للتجديد لمدة أقصاها ثلاث سنوات. كان ذلك مطبقا عندما كانت الدولة العثمانية قوية وبعد ضعفها انفرط عقد هذا النظام.

كانت الدولة العثمانية حريصة على إن تكون مدة حكم الوالي قصيرة حتى لا يفكر في الانفصال عنها. وبالمقابل كان تفكير الوالي ينحصر في جمع أكبر قدر من الأموال من الناس، ليقدم الرشاوى للسلطان وحاشيته، لتجديد مدة ولايته لجمع أكبر قدر من الأموال لنفسه. ولم يقم بأي إصلاحات جذرية داخل الولاية.

2- مجلس الديوان: يتكون من كبار الانكشارية الذين جلبهم الوالي لولايته، والقاضي، والمفتي، وبعض أعيان البلاد، وبعض كبار الشخصيات مثل: شيخ البلد، الخازندار ورئيس البحرية، ويرأس هذا المجلس الوالي.

3- الحامية العثمانية: كانت تتكون من طوائف الجنود ومهمتها مساعدة الوالي في حفظ الأمن، وتنفيذ الأوامر الصادرة إليه من السلطان. غير أن هذه الحامية بعد ضعف الدولة، أصبحت مصدرا للفوضى والاضطرابات داخل الولاية والاعتداء على أرواح السكان والمشاركة في الانقلابات السياسية داخل الولاية.

4- حكام السناجق والمقاطعات: يقوم بتعيين هؤلاء الحكام، الوالي، كنواب عنه في كل سناحق ومقاطعات الولاية، لحكمها وحفظ الأمن والنظام فيها، عن طريق حامية من الجند يرسلها معهم، ولتنفيذ أوامر الوالي، وجمع الضرائب من المواطنين.

أتاحت هذه السياسة، ظهور بعض العصبيات بين طوائف الجند، فعمت الفوضى، واختل النظام.

5- زعماء العشائر والقبائل: تركت الدولة العثمانية بعض المناطق النائية لحكم المشايخ وزعماء القبائل. فظهرت عدة حركات انفصالية عن الدولة والسلطة المركزية، كما ظهر في شمال أفريقيا زعماء التجارة (القراصنة) الذين كانوا يملكون السفن الضخمة ويحاربون الأعداء، ونجحت بعض الأسر القوية في تأسيس أسر حاكمة مستقلة سياسيا ومرتبطة بالدولة العثمانية من الناحية الشكلية والدينية. كالاسرة القرمانلية في ليبيا.

المطلب الثاني: ولاية مراد أغا 1551- 1553

بطرد فرسان مالطا من طرابلس الغرب في أغسطس 1551، وقعت ليبيا بأقاليمها الثلاث:

(طرابلس، برقة وفزان) تحت الحكم العثماني والذي عرف في التاريخ باسم العهد العثماني الأول واستمر لمدة مائة وستين عاما من 1551 حتى 1711 م.

قام سنان باشا قائد الأسطول العثماني الذي حقق النصر على فرسان مالطا، بتنصيب مراد أغا، واليا على طرابلس وتاجوراء، باسم السلطان العثماني (سليمان القانوني)، وترك إلى جانبه مساعدة القرصان درغوث* وعدد من قواته، وبفضل ذلك تمكن الوالي الجديد من بسط سيطرة العثمانيين على عدة مناطق مثل: مصراتة، زوارة، جربة والدواخل حتى سفوح الجبل الغربي.

والسؤال، من هو مراد أغا ؟

هو أول وال عثماني في ليبيا كان بمثابة حاكما عاما (General Governor)، وهو من أصل ايطالي من مواليد راجوزا (Raguse) وقع في أيدي تجار الرقيق، ونقل الى استانبول، حيث أسلم، وتسمى مراد. تميّز بالذكاء والشجاعة وجمال الخلق والخلقة.

دخل في خدمة القصر السلطاني في عهد السلطان سليم الأول، ثم دخل الجيش فأظهر نبوغا وتفوقا حربيا فمنح لقب أغا (قائد فرقة). عمل مع خير الدين بربروصا وعهد اليه بمحاربة فرسان القديس يوحنا، فنزل تاجوراء، وأصبح حاكما عليها، كما سبق القول.

أهم أعماله الداخلية:

واجهت مراد أغا عند توليه ايالة طرابلس الغرب الكثير من المشاكل، إلا أنه تمكن من القضاء عليها في فترة وجيزة. فقد تمكنت قواته من إحباط محاولة قوات الأسبان وفرسان مالطا من استرجاع طرابلس الغرب لسيطرتهم، فقاموا بمهاجمة مدينة زوارة

واحتلالها عام 1552 م، غير أن قواته أسرعت لملاقاتهم وانتصرت عليهم وطردتهم وعادوا إلى مالطا يجرون أذيال الهزيمة والخيبة [1].

عمل أثناء فترة حكمه القصيرة بهمة ونشاط مما ساعد على نشر الأمن، فأخذ الناس الذين هجروا المدينة أثناء الاحتلال الأسباني-المالطي، يعودون إليها، ويمارسون حياتهم العادية. وتم تنظيم الأمور الإدارية، واهتم بالنواحي العمرانية فشيدت العديد من المؤسسات النافعة، كما أمر ببناء مسجدا بتاجوراء، سمي باسمه، وقد جلب إليه الأحجار من لبدة، واستخدم في بنائه نحو ثلاثمائة من الأسرى النصارى ووعدهم بإطلاق سراحهم بعد إتمام بناء المسجد، الذي أقيم على ثمانية وأربعين عمودا من الرخام، وقد أوفى بوعده الذي قطعه للأسرى فأطلق سراحهم. وألحق بهذا المسجد، مدرسة لتعليم الأولاد [2]. وأنشأ ملاّحة بالقرب من مدينة تاجوراء.

لم تطل مدة حكم مراد أغا، فقد كان شيخا طاعنا في السن، بالإضافة إلى طموحات درغوث في الحكم، الذي توجه إلى استانبول في أغسطس 1552 م، وقدم تقريرا للسلطان مشيرا إلى شيخوخة مراد أغا وأنه كان في الماضي جنديا شجاعا، لكن ألان لم تعد يديه قادرة، والمطلوب ضبط الأهالي وإخضاعهم لطاعة الإمبراطورية. اقتنع السلطان بذلك، وتم عزل مراد أغا في مارس 1553 م، ولم تطل به الحياة بعد ذلك، فمات في ربيع العام نفسه، ودفن بالقرب من مسجده الذي بناه.

المطلب الثالث: ولاية درغوث باشا 1553- 1565

نبذة تاريخية عن درغوث باشا

ولد في إحدى القرى الصغيرة بالأناضول، نشأ في أسرة فقيرة، كان عصاميا، صنع حظه وسمعته، اشتغل في بداية حياته بحارا تحت التدريب، ثم بحارا مدفعيا، انضم الى خير الدين بربروصا فاشترك معه في عدة هجمات على السواحل الايطالية. ثم دخل في خدمة السلطان في استانبول. إليه يعود الفضل في انتصارات البحرية العثمانية في كثير من المعارك، والى طرد فرسان مالطا من طرابلس الغرب.

تسلم حكم ايالة طرابلس، بعد عزل الوالي مراد أغا في مارس 1553 م، كانت لديه سلطة مطلقة في حكم هذه الايالة مع التبعية للسلطان، والتي تمثلت في دفع الضرائب السنوية، وتزويده بالرجال والسلاح والمؤن والسفن أثناء الحروب. وكان السلطان يختار من استانبول لطرابلس بك، يتولى القيادة العامة للجيش، وأغا برتبة عقيد، لقيادة الانكشارية، قاضيا، ومفتيا. وظلت هذه العادة قائمة حتى 1595 م.

أعمال درغوث باشا الداخلية:

كانت طرابلس الغرب مع بداية حكم درغوث باشا، في حاجة إلى العديد من الإصلاحات، بسبب ما وقع عليها من خراب ودمار أثناء الغزو والاحتلال الأسباني-المالطي.

بدأ بزيادة تحصينات طرابلس، واعتنى بترميم أسوارها، أنشأ دارا لصناعة البارود جنوب قلعة طرابلس، وأعاد تجميل هذه المدينة فاهتم بإقامة المباني العمرانية وأقام الحمامات العامة، وبنى مسجدا عام 1554 م جعله المسجد الرئيسي، رغم تعدد المساجد، ومازال هذا المسجد يحمل اسمه حتى الآن. كما أمر ببناء قصر، قرب باب البحر كان يتكون من دورين مفصولين مزودين بالشرفات والأروقة، محاطا بالحدائق الجميلة [3].

فرض سيطرته على أهالي غريان وألزمهم بدفع الضرائب ثم فعل الشيء نفسه مع ترهونة، ولم يتبق أمامه سوى منطقة ورفلة الذي أرسل إليها قواته، فأجبرت السكان على دفع الضريبة المقررة، ثم تابعت قواته سيرها نحو تاورغاء وعادت إلى مصراتة ومنها عن طريق البحر إلى تاجوراء وطرابلس [4].

على الرغم من انتعاش ايالة طرابلس الغرب في عهد الوالي درغوث باشا زراعيا واقتصاديا وقامت فيها بعض الصناعات. الا أن الأهالي كانوا يكرهون حكم درغوث باشا، بسبب شدة وطأة الضرائب التي أثقلت كاهلهم. فكان البدو من أولاد سليمان في الشرق والمحاميد في الغرب وزعماء الجبل، يرفضون الخضوع لسيطرته وظلوا في حالة تمرد مستمر [5].

أهتم درغوث بالبحرية وجعل ميناء طرابلس قاعدة للبحرية العثمانية، التي قامت بعدة هجمات على سواحل ايطاليا ونابلي وتوسكانيا، فعاد ذلك بالكثير من الغنائم على ايالة طرابلس. وفي عام 1556 م، تمكنت قواته من فتح جزيرة جربة، واستولت على سوسة، صفاقس، المونستير والمهدية عام 1558 م، ثم دخلت تلك القوات مدينة القيروان في نفس العام.

أمام هذا النشاط للبحرية المتميز، استاءت عدة دول أوربية، فحاولت احتلال مدينة طرابلس للقضاء على حكم درغوث باشا، تجمعت أساطيل هذه الدول في مالطا، ثم توجهت عام 1558 م الى ميناء طرابلس الغرب. غير أن قوات درغوث، تمكنت من رد تلك الأساطيل الأوربية الصليبية خاسرة، ولم تفكر هذه الدول في العودة مرة أخرى لمدة طويلة.

نهاية درغوث باشا

خرج الوالي درغوث باشا على رأس قواته البحرية التي كانت تتكون من اثنتي عشرة سفينة عام 1565 م، للمشاركة مع القوات العثمانية في حصار مالطا. وأثناء هذا الحصار، أصابته قذيفة في رأسه أودت بحياته، فنقل جثمانه إلى طرابلس الغرب حيث دفن بمسجده الذي بناه في المدينة القديمة.

المبحث الثاني

العهد الانكشاري في ليبيا (1565- 1711)

المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الانكشارية

الانكشارية نظام استحدثته الدولة العثمانية، ويسمى بالتركية يكيجاري، وتعني الجيش الجديد ثم حرف اللفظ إلى العربية فصار انكشاري، ويعود تأسيسها إلى العهود الأولى من قيام الدولة العثمانية أيام حكم السلطان أورخان (1326-1360) [6]، تكونت هذه الفرق من الأطفال الذين تم شرائهم. قامت الدولة العثمانية، بتربيتهم تربية دينية إسلامية، وجرى تدريبهم على فنون الفروسية والأعمال العسكرية، وكان يجري تقسيمهم وفقا لاستعداداتهم ونبوغهم في النواحي العسكرية إلى فرق.

اتسمت هذه الفرق بالشجاعة والاستماتة في الحرب، وشؤون القتال، لأن أفرادها لم يكن لديهم شاغل سوى خدمة السلطان والدولة العثمانية، وكان الزواج محرما عليهم في بداية الأمر.لكن سرعان ما دب فيهم الضعف، بعد أن اندمجوا في الحياة العامة، فأصبحوا أحد عوامل ضعف الدولة العثمانية، لتدخلهم في شؤون الحكومة المركزية في استانبول وحكومات الولايات، وزاد خطرهم بعد ضعف الدولة بموت سليمان القانوني (1520-1566)، لتدخلهم في تولي الوزراء أو عزلهم، وأصبحت مظاهر السلطة المحلية في أيديهم.

المطلب الثاني: مراحل حكم الولاة الانكشاريين لايالة طرابلس الغرب

1- المرحلة الأولى: تفرد الولاة الانكشاريين بالحكم

كان درغوث باشا قد أحضر معه إلى ليبيا عدد من خيرة الانكشارية، فكان معظم الولاة لطرابلس من بعده من الانكشارية أو من أتباعهم فكثرت الانقلابات والاضطرابات حتى قيام الأسرة القرة مانلية.

تختلف الروايات في الاسم الذي خلف درغوث باشا، فهناك إشارة إلى اسم يحيى، الذي لم يسجل لنا التاريخ إلا تاريخ وفاته ودفنه في مقبرة قرقارش 1566 [7]. ولم يعهد على الفور بتولي شؤون ايالة طرابلس لوالي جديد، فنتج نوع من الفراغ السياسي، أدى إلى اختلال الأمن وسيادة الفوضى والتنافس في صفوف ضباط الانكشارية حتى تولى قلج علي اوشيالي في نفس العام 1566 م، فتمكن من إعادة استتاب الأمن، ثم توجه هذا الوالي عام 1668 م إلى الجزائر ليتولى حكمها، حيث تم تعيين جعفر باشا واليا جديدا، فشكل عهد هذا الوالي المرحلة الأولى من حكم الولاة الانكشاريين الذين تفردوا بالحكم وهم [9]:

1- جعفر باشا 1569-1581
2- رمضان باشا 1581-1584
3- مصطفى باشا 1584-1588
4- حسين باشا 1588-1595

وقد تميز عهد جعفر باشا (1569-1581) بعدة أحداث، فقد شاركت طرابلس الغرب، بست سفن بحرية، إلى جانب البحرية العثمانية في معركة ليبانتو 7 أكتوبر 1571 م، التي تكاثفت فيها القوى الصليبية ضد القوات البحرية العثمانية، فكانت هزيمة ساحقة للبحرية العثمانية، تكبدت فيها طرابلس نتيجة هذه المشاركة خسارة فادحة في بحريتها ورجالها، فقد بلغ عدد الضحايا نحو 1,200 رجل [9]. ظل أهالي طرابلس يبكون موتاهم، لعدة أشهر واعتبروا هذا الولي مسؤولا عن مقتل أبنائهم في تلك المعركة.

كان جعفر باشا شخصية ضعيفة، فاجتاحت ليبيا الاضطرابات، نتيجة ظلم الجنود الانكشارية وسياستهم القاسية في جمع الضرائب، التي كانت شهرية بدلا من أن تكون سنوية، مما أجبر أهالي جزيرة جربه على هجرها وتشتتوا في مختلف البقاع.

كما عمت البلاد الانتفاضات، فقام المدعو حجاج بانتفاضة عام 1573 م في غريان و لم يتم إخمادها إلا بصعوبة، و بسببها اضطر هذا الوالي إلى تخفيض الضرائب بواقع النصف. ثم قامت بعد ذلك انتفاضة نوير من المحاميد.

غير أن أخطر تلك الانتفاضات التي بدأت في عهد الوالي جعفر باشا ثم استمرت عدة سنوات هي انتفاضة يحيي بن يحيي السويدي 1581-1589 م.

والسؤال :من هو يحيي السويدي؟

جاء يحيى بن يحيي السويدي من مراكش، استقر بمدينة تاجوراء، اشتهر بالتقوى والورع. كان رجل علم وبيان، مكنته هذه المؤهلات من إقناع سامعيه، بضرورة العمل على التحرير من ربقة الحكم العثماني التركي، فبايعه أهل تاجوراء سرا، واعترفوا به زعيما عليهم.

بعد أن ضمن ولاء سكان تاجوراء، اتجه إلى أهالي مسلاتة لاستقطابهم، وهرع الأنصار والمؤيدين له من كل صوب من ليبيا.

فكانت هذه الانتفاضة، شاملة، استجاب لها أبناء الشعب الليبي الذين كانوا يتطلعون إلى الخلاص من أوضاعهم المتردية، فاتسعت رقعة الانتفاضة من جربه حتى الجبل الأخضر[10]. فهزت أحداثها الحكومة المركزية في استانبول، و أعجزت القوات العسكرية الحكومية لفترة من الوقت.

تعددت أسباب هذه الانتفاضة، لعل أهمها: زيادة الضرائب و الطريقة القاسية في جمعها، و تفاقم ظلم الانكشارية وتردي أوضاع السكان على كافة الأصعدة، و فقدان الأمن و انتشار الفوضى و التعدي على الأموال و الأرواح. أما السبب المباشر فكان الاحتجاج على المجزرة التي قام بها الانكشارية لمجموعة من الحجاج الليبيين عام 1581 م.

تمت المجابهة بين قوات الانتفاضة، و القوات الانكشارية في مسلاتة نفسها في نفس العام، فمنيت القوات الانكشارية بهزيمة ساحقة و قتل منهم أكثر من ألف رجل[11]، استقطبت هذه الانتصارات حول يحيى السويدي أهالي غريان، بني وليد، ترهونة، زوارة ومصراتة وغيرهم، فعاد بقواته إلى تاجوراء، و انتقل منها إلى قرية العمروس و حاصر طرابلس حصارا شديدا لمدة تزيد على العام، حتى قارب الاستيلاء عليها.

و في هذه الأثناء، توجه بقواته إلى جزيرة جربة بهدف منع امتدادات التموين التي كانت تأتي من خلالها للسلطة العثمانية في طرابلس الغرب.

أمام تواصل أحداث انتفاضة يحيى بن يحيى السويدي و توسع انتشارها، تم عزل جعفر باشا و تولى رمضان باشا 1581-1584 تم تولى مصطفى باشا 1584-1588، الذي لم يتمكن من القضاء على هذه الانتفاضة ووصلت الأمور إلى حالة شكلت خطرا على الوجود العثماني، فأسرعت السلطات العثمانية باستدعاء مصطفى باشا، و أرسلت حسين باشا عام 1588 م، واليا جديد على ايالة طرابلس [12] لم يدخل الوالي الجديد في مناوشات مع قوات يحيى السويدي، بل أظهر نوايا سليمة بغية تلاشي أخطاء سلفه. لكنه دخل سرا في علاقة مع نوير شيخ قبيلة المحاميد القوية، و الذي كان منافسا ليحيى السويدي. و أكثر مشايخ الدواخل نفوذا بعد السويدي، فطبق الوالي العثماني النظرية الاستعمارية فرق تسد و تفاهم مع ابن نوير الذي انحاز إلى الوالي الجديد، و دبرا خطة للقضاء على يحيى السويدي، حيث اتصل ابن نوير، بيحيى السويدي مبديا رغبته في محاولة القيام بهجوم مشترك حاسم أثناء الليل على طرابلس، فأعدت السلالم لتسلق الأسوار للاستيلاء على المدينة عنوة.

غير أن القوات العثمانية، بتواطؤ مع ابن نوير و الولي حسين باشا، كانوا قد نصبوا كمينا ليحيى السويدي، و أثناء الاقتحام، هدرت قذائف المدافع، أدرك يحيى السويدي أنه قد غرر به، فحاول الهرب، غير أن ابن نوير هجم عليه بحصانه و طعنه بسيفه طعنة قاتلة عام 1589 م ثم هرع إلى باب المدينة لإعلام الوالي بمقتل زعيم (المتمردين) يحيى السويدي حسب قوله، و أرسل رأس يحيى السويدي في برميل من الملح إلى السلطان مراد و أخبروه بما فعل ابن نوير، فكتب له و لأسرته في خراج البلد و جعل لهم منه سهما، وأمر بتعظيمهمه حين القدوم إلى مقر السلطة بطرابلس [13]. و بأن يخلع عليه قفطان شرف كلما استقبله وال عثماني لأول مرة. [14].

أوقد مقتل يحيى السويدي الشنيع نار الكراهية ضد السلطة العثمانية و ترأس حركة المقاومة الوطنية رجل يدعى عبد الصمد عام 1589م ثم تلاه في نفس العام مرابط يدعى نيال الذي أعلن الجهاد ضد الوجود التركي الظالم و كادت حركة نيال أن تستولي على طرابلس في أغسطس من نفس العام [15]، لولا وصول والي الجزائر بنجدة كبيرة، و

مع ذلك فان القوات العثمانية تكبدت خسائر فادحة، بلغت نحو ثلاث ألاف شخص، كما أبيد معسكرا للانكشارية. فأرسلت الحكومة العثمانية، أسطولا بحريا مكونا من خمسين قطعة بحرية، تمكن من فك الحصار و اضطر نيال للاستسلام بعد أن خانه رجاله و سلموه للوالي العثماني، الذي أمر بسلخ جلده حيا، و أرسل جلده محشوا بالتبن الى استانبول [16].

المطلب الثاني :إشراك الدايات مع الولاة في الحكم أهم ولاة هذه المرحلة هم[17]:-

أ- إبراهيم باشا 1589-1595

ب- اسكندر باشا 1595-1600

ج- سليم باشا 1600-1606

اعتاد سكان المغرب العربي، على التغيرات السياسية المستمرة و كانت الجزائر أولى هذه الولايات في تطبيق هذا النظام الجديد (الديوان) ثم تبعتها ولاية تونس عام 1594 م، وليبيا في أواخر عهد الوالي إبراهيم باشا عام 1595 م. وتفصيل ذلك:

تقدم أحد زعماء الانكشارية إلى الوالي إبراهيم باشا، عارضا عليه مشروعهم، القاضي بالمشاركة في الحكم والتمسك بالولاء والإخلاص للسلطان العثماني وكان مبررهم في ذلك بما أنهم مشاركون في المغارم فلا بد لهم أن يشاركوا في المغانم أيضا. ونظر الأهالي إلى هذه الحركة على أنها حركة ديمقراطية، تحد من سلطات الوالي المطلقة وتأملوا في تحسين أوضاعهم، وربما شوقا وتطلعا إلى الجديد.

أمّا الوالي إبراهيم باشا، فقد بذل كل ما في وسعه لإقناع الانكشارية بالعدول عن هذا المشروع، شارحا لهم أن سلطة السلطان تكون في أشخاص ممثلية، ولجأ للاحتجاج والتهديد ولكن دون جدوى.

بادر الانكشارية في تنفيذ مشروعهم بإنشاء ما سمي مجلس الدولة (الديوان)، الذي تشكل من رئيس ومستشارين، يتم اختيارهم من بين الضباط الأكفاء الذين تنتخبهم الانكشارية نفسها، مؤكدين ولاءهم للسلطان، وتمسكهم بالطاعة.

كان رئيس الديوان يحمل لقب أغا، يجرى استبداله كل ستة شهور. وعيّن من بين المستشارين بعض بيلوك باشية (قائد المائة)، وبعض أود باشية (قائد العشرين)، وكان يتم انتخاب المباشرون والسعاة في أعمال الديوان من بين الضباط.

تولى هذا الديوان مناقشة المسائل المهمة في ايالة طرابلس الغرب مثل: قرار اتخاذ أي إجراء حربي أو سلمي، والعلاقات التجارية، واتفاقات التحالف، وحركة الخزانة، وفرض الضرائب وجبايتها.

قام قادة الانكشارية، بإخطار السلطان العثماني محمد الثالث (1596-1603) بهذا النظام، وتم شرح وجهة نظر الانكشارية شرحا وافيا، فأقر السلطان هذا النظام، طالما أن سلطته لم تمس وتدفع ضريبة الولاية السنوية بانتظام [18].

خلال هذه الفترة، قلت سلطة الولاة، وهان أمرهم، وأصبحوا معزولين عن الحكم. فعلى الرغم من ضعف شخصية سليم باشا أخر ولاة هذه المرحلة من 1600-1606م، فان الديوان استطاع حفظ الأمن، ودفع الأهالي الضرائب في مواعيدها، ونشطت حركة التجارة الخارجية مع دول أوربا.حيث كان التجار يأتون إلى ميناء طرابلس محملين بالبضائع من عدة موانئ مثل: مرسيليا، جنوا، ليفورنو، البندقية، صقلية، نابلي، ومالطا وغيرها.

فكانت صادرات فرنسا لطرابلس تتمثل في المنسوجات الفاخرة، الورق، النبيذ. أما البندقية فكانت صادراتها: الحرير، البرونز، والزجاج، الكبريت، الحديد والأقمشة،. كذلك بقية البلدان الأخرى صدرت عدة مواد.في حين كانت طرابلس تقوم بتصدير: الصوف، الجلود، الشمع، التمور، الشعير، القمح، الملح، ريش النعام والعاج وغير ذلك من المواد التي تأتيها من أفريقيا وتقوم بإعادة تصديرها إلى أوربا والعكس.

كما جرت عدة أحداث في عهد ولاية سليم باشا كان من أهمها:

أ- انتفاضة الجبل الغربي (1607-1608).

ب- محاولة الإخلال بقواعد الديوان عام 1609 م.

ج- طرد العرب من الأندلس واستقرار بعضهم في درنة عام 1610 م.

وتفصيل هذه الأحداث كما يلي:

أ- انتفاضة الجبل الغربي

قام أهالي منطقة الجبل الغربي، بانتفاضة خلال عام 1607 م استمرت حتى 1608 م تزعّم هذه الانتفاضة الشيخ عبد الله الذي رفض دفع الأهالي للضرائب وشهروا السلاح. استعان جعفر باشا بالشيخ نوير لمواجهة الثوار، فاصطدم بهم في سهل طرابلس وقتل نحو 400 منهم وتم إخماد هذه الانتفاضة.

ب- محاولة الإخلال بقواعد الديوان

من المعروف إن رئاسة الديوان (مجلس الدولة) كانت لمدة ستة شهور، ثم يجرى انتخاب رئيس جديد. إلا أن هذا النظام كان لا بد أن يفسده الطموح و المصالح الشخصية. ففي عام 1609 م، تولى رئاسة الديوان المدعو سليمان، و تسمية العامة صفر داي، الذي كان عليه أن يتخلى عن منصبه، بنهاية المدة المقررة، غير أنه عمل على كسب تأييد عدد من الانكشارية له، فحاول الإخلال بقواعد هذا النظام، والاستمرار في الحكم، على أمل الاستفراد بالسلطة كاملة.

ج- طرد العرب من الأندلس واستقرار بعضهم في درنة 1610 م

تغلب ملك أسبانيا فيليب الثاني على العرب الموجودين في الأندلس، وأمر بطردهم خلال ثلاثة أيام. ولم يسمح لهم بنقل أشياءهم سوى الذي يستطيعون حمله، وركبوا في بواخر، قذف بهم على ساحل الشمال الأفريقي. وبعد خمسة وعشرون عاما، استقرت جماعة منهم في مدينة درنة 1610 م، فكان لهم الأثر الفعال في استئناف حركة القرصنة البحرية والجهاد.

المطلب الثالث: الحكم المباشر للدايات وأهم حكام هذه المرحلة :-

	الولاة		الدايات	
1-	علي باشا	1614-1610	صفر داي	1615-1609
2-	حامد باشا	1619-1615		
3-	سليمان باشا	1622-1619	مصطفى شريف	1629-1622
4-	حسن باشا	1630-1623		
5-	قاسم باشا	1632-1630	رمضان داي (تنازل) لصهره محمد داي	
6-	رباني باشا	1633-1632	محمد داي السافزلي	1633-1631
7-	محمد الساتزلي	1649-1633	باشا وادي	1649-1633
8-	عثمان فزلي	1672-1649	باشا وادي	1672-1649

واليك تفصيل حكم هؤلاء الدايات في تلك الفترة

أ- حكم صفر داي (1609- 1615)

كان صفر داي أول أو ثان داي لطرابلس الغرب على اعتبار أن اسم سليمان هو الاسم الحقيقي لهذه الشخصية و لقبه صفر لأنه استولى على حكم طرابلس و بويع دايا في اليوم الأول من شهر صفر [20]. و هو أحد قادة الانكشارية كان يدير شؤون الخزانة و جباية الضرائب. استهل حكمه بالقضاء على الاضطرابات الداخلية. ثم استقر في قلعة طرابلس حيث أخذ في استقبال عامة الناس مرتين في اليوم، و يتلقى مراسم الطاعة و الولاء من جماعاته المخلصين له، و من عدد قليل من الضباط الانكشارية.

أرسل صفر داي وفدا محملا بالهدايا الثمينة إلى حكومة استانبول، للتصديق على تثبيته في منصبه الجديد. غير أن الحكومة العثمانية كانت قد عينت واليا لطرابلس وهو على باشا الذي وصل للبلاد 1610 م فاستقبله صفر داي بكل مظاهر الترحيب كمثل للسلطان، وكان للهدايا القيمة التي قدمها صفر داي للوالي الجديد وللصدر الأعظم مع الوفد، أثرها الطيب، فأعترف به دايا على طرابلس الغرب، وهو اللقب الذي ظل سائدا حتى نهاية الحكم العثماني الأول.

بدأ صفر داي سياسة معتدلة، فلم يكن يقرر شيئا قبل الرجوع لاستشارة الوالي علي باشا، وكان سخيا مع الضباط الانكشارية، وسمح لهم باستئناف غزواتهم البحرية [21]، فامتلأت الأسواق بالبضائع والتحف، وأرتفع عدد الأسرى المسيحيين، ونشطت الحركة التجارية، وحاول سك النقود باسمه، وهتف الناس له: عاش صفر داي.

غير أن كثرة المبالغ التي كان قد أنفقها في الأعوام الأولى، قبل بلوغه هذا المنصب، أرغمته على أن ينتزع بالقوة ما بذله في الماضي بسخاء وعن طيب خاطر. فصادر الأموال، وحكم على بعض الانكشارية بالإعدام، فطالبه أعضاء الديوان بالاعتدال، لكنه رفض ذلك، فأصبح علي باشا في وضع حرج، فلا حول له ولا قوة، لذلك قدم استقالته عام 1614 م، وسافر إلى استانبول، وبلغ حكومته مجريات الأمور في ايالة طرابلس الغرب.

أرسل الصدر الأعظم واليا جديدا هو حامد باشا عام 1614 فسلك صفر داي نحوه ما كان قد فعله من قبل في المبالغة بتقديم الهدايا والترحيب به، فتظاهر الوالي الجديد بالقبول على الرغم من قناعته بطغيانه.

اشتد ضيق الأهالي من سوء ممارسات صفر داي فاستغل زعماء الجبل الغربي ذلك، و شنوا عدة غزوات على سهل طرابلس في نفس العام، ثم حاولوا القيام بانتفاضة عارمة شملت مناطق غريان و ترهونة، فأرسل إليهم صفر داي قواته بقيادة مراد بك، تمكنت من إلحاق الهزيمة بالمنتفضين وتشريد زعمائهم إلى الجبال.

أمام جبروت هذا الطاغية، قرر أعيان طرابلس، إرسال وفد لاستانبول، لتقديم شكواهم للسلطان، واختاروا أربعة منهم متظاهرين بالسفر لأداء فريضة الحج، فانتقلوا إلى مصر ومنها إلى استانبول. وعرضوا حالة طرابلس السيئة على الصدر الأعظم، الذي عرض شكواهم على السلطان. فتقرر التخلص من صفر داي. وأوكل مهمة ذلك إلى الأدميرال القبودان باشا، بحجة السفر في رحلة بحرية في البحر المتوسط، ثم التوقف في طرابلس لتنفيذ إرادة السلطان.

أبحر الأدميرال، قبودان باشا من استامبول في مايو 1615 م، بثلاثين قطعة بحرية، مارا بسواحل كالابريا ثم مالطا، وظهر فجأة في مياه طرابلس الغرب. وكانت المراسم تقضي بأن يصعد صفر داي إلى مركب القيادة لتقديم التحية والترحيب بالأدميرال العثماني.

خف صفر داي لاستقباله، حاملا معه كالعادة الهدايا الثمينة، لكنه ما كاد يضع قدمه على أرض سفينة القبودان باشا، حتى تم إلقاء القبض عليه، وكبلت رجلاه بالقيود. ووصل في ذات الوقت عدد من ضباط الانكشارية لتقديم تقاريرهم ضده، وحضر حامد باشا، الذي أسهب في الشكوى ضد صفر داي [22].

بعد أن تم جمع الوقائع الثابتة و الدلائل القاطعة ضد صفر داي، أصدر القبودان باشا، حكما عاجلا بتنفيذ عقوبة الإعدام شنقا فيه، على أن يجري شنقه عند باب المدينة. و ظلت جثته معلقة يوما كاملا أمام أعين الناس.

أمر القبودان باشا بإعادة أموال الناس التي اغتصبها صفر داي. أما نوير، الذي كان صفر داي قد جرده من كافة امتيازاته، فقد استقبله القبودان باشا، بحفاوة بالغة وأعاد إليه مناصبه و أملاكه. أما أعوان صفر داي من الانكشارية فجرى محاكمة بعضهم وهرب قسم أخر، فأصبحت طرابلس خالية من أية قوة دفاعية. ترك قبودان باشا بعض المراكب، و اتجه إلى تونس حيث أمر واليها (كاره عثمان) بإرسال مائة انكشاري لحماية قلعة طرابلس، و بعض الضباط المخلصين لملء بعض الوظائف الشاغرة، وعاد إلى طرابلس في خريف 1615 م، فجرى تنصيب حامد باشا واليا عليها. ثم قفل راجعا إلى استانبول بتقرير شامل عن وضع هذه الايالة.

استقال حامد باشا عام 1619 م وخلفه في الحكم، سليمان باشا (1619-1622). كان هذا الوالي رجلا مستقيما، اهتم بمصالح الأهالي، وقضى على الاستغلال، فساد الأمن، وتمكن من القضاء على عدة انتفاضات في منطقتي غريان وترهونة بالتفاهم والحلول السلمية.

كما نشطت أعمال القرصنة الطرابلسية في عهده وتمكنت بأربع سفن أن تأسر عددا كبيرا من البحارة الأوربيين، وتعود بالغنائم الوفيرة.

غير أن أحداث استانبول عام 1622 م التي أثارها الانكشارية ضد السلطان عثمان الثاني، جعلت السلطان مراد الثاني يقرر الانتقام من المتسببين في تلك الأحداث، فهرب بعضهم إلى ايالة طرابلس الغرب. لذلك فضل سليمان باشا، عدم التعامل مع هؤلاء الذين أطلق عليهم لقب الأشرار. فقرر تقديم استقالته ورحل إلى استانبول.

تولى الحكم بعده حسن باشا (1623-1630)، لم يكن أهلا لهذا المنصب، فتمكن أولئك الهاربون من الوصول إلى الديوان، وأظهروا نواياهم في معارضة الضباط الكبار، مما أدى إلى شيوع الفوضى وانقسام الديوان.

أمام هذه الفوضى، قام عرب الجبل الغربي بشن هجمات على ضواحي طرابلس، وقد أصبح الشيخ نوير آنذاك هرما، فتم استبداله برجل أخر للقضاء على الثوار وهو فادر بك، الذي تم تعينه قائدا للفرسان العرب الموالين للسلطة العثمانية ودايا أيضا. فقام برد المهاجمين وتفريقهم دون أن يتمكن من إخضاعهم بالكامل.

أما الداي الآخر فكان مصطفى شريف (1624-1630) هذا الرجل كان يلعب في الظل، ويغذي الاضطرابات والعنف لخدمة أغراضه الشخصية، وهو من مواليد مراكش ويدعى أنه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويحمل لقب شريف، أمضى شبابه في استانبول منخرطا في جيش الانكشارية.وأثناء قدوم الأميرال البحري (القبودان باشا) إلى طرابلس كان مصطفى شريف، ضمن أعضاء الحاشية [24]. زاول مهنة التطبيب، في ولاية سليمان باشا (1619-1622) ثم أقام في تونس عدة سنوات، عاد بعدها إلى طرابلس، وانتخب مستشارا في الديوان ونودي به دايا على طرابلس عام 1624 م، حيث كان الداي الأول (عبد القادر بك) مشغولا مع فرسانه بملاحقة الثوار، الذين توقفوا عن الاضطرابات، وجنحوا للسلم، عندما علموا إن الداي الجديد عربيا وليس تركيا.

ب- حكم مصطفى الشريف داي (1622- 1629)

بدأ مصطفى الشريف داي، كسلفه صفر داي، بداية طيبة، لكنه سرعان ما انحرف، بعد إن أنفق أموالا طائلة لبلوغ منصب الداي. فبدأ باستغلال الشعب وإرهاقه بالضرائب حتى يوسع العطايا لأتباعه لضمان ولائهم.

في هذه الآونة مات نوير عن عمر يناهز السبعين عاما، تاركا ولدين هما: أحمد وسوفجين، اللذان كانا يستفيدان من امتيازات الدولة العثمانية المقررة لوالدهما. لكن مصطفى الشريف داي، استولى على أموال نوير، وجرد ورثيه من كل شئ. فقررا مغادرة طرابلس إلى الدواخل.

أمام تعسف مصطفى الشريف داي، قامت الاضطرابات في عدة أماكن شملت: ترهونة، مسلاتة، تاورغاء وغيرها، غير أنه أخذ في تحدي هذه الاضطرابات وقرر محاربتها وزيادة الضرائب على السكان. وكان الوالي حسن باشا، ما يزال مقيما في طرابلس، لكن لم يكن لوجوده أي معنى. لذا طلب العودة إلى استانبول، وهناك قدم تقريره عن سوء أعمال مصطفى الشريف داي.

فقامت حكومة استانبول بتعيين قاسم أغا واليا جديدا (1630-1632) وكان يحمل تعليمات صريحة من الصدر الأعظم، بقتل مصطفى الشريف داي الذي تحصّن في قلعة طرابلس ومعه مائتي مقاتل. حاول الوالي قاسم أغا، التفاهم معه، دون فائدة. فأخذت المدفعية التركية تدك القلعة لمدة أربعين يوما.

لجأ مصطفى الشريف داي خلال هذه المدة إلى كسب ثقة الأهالي، غير أن أحدا لم يستجب له. وبدأ أنصاره يتخلون عنه، بعد خمسة وعشرين يوما من الحصار. فأخذوا يتسللون أثناء الليل من أسوار القلعة بالهبوط من خلال الحبال، ويدخلون مدينة طرابلس مشمولين بعفو الوالي قاسم أغا. ومع طول المدة قل الزاد، وارتفعت أرقام الهاربين من أنصار مصطفى داي.

وبعد أن، وجد نفسه وحيدا عندئذ، طلب التفاوض والاستسلام. فنزل من خندق القلعة، وفتح باب المنشية، ودخل الأهالي للتشفي من هذا الداي الظالم، واقترب عدد من

جنود الوالي ليقتادوه إلى قصر الديوان الكائن أمام قلعة طرابلس، وسرعان ما هجم عليه الانكشارية فقتلوه ضربا وطعنا في أغسطس 1631 م ومثلوا بجثته، وصودرت أمواله.

ج- حكم رمضان أغا داي من أغسطس حتى أكتوبر 1631

بعد مقتل مصطفى داي، تم انتخاب رمضان أغا، دايا. وكان شيخا كبيرا، حكم بحكمة وإدراك. كما أنه كان غنيا سوّي الشخصية. نال إعجاب الجميع بشهامته ونبل أخلاقه، فألتف الديوان حوله وكانت القرارات تصدر بالتفاهم واتفاق الجميع.

لذلك نعمت ايالة طرابلس الغرب بشيء من الهدوء والسكينة أيام حكمه القليلة، حيث اضطر للتنازل إلى صهره محمد الساقزلي* عن الحكم وترك الوالي قاسم أغا طرابلس في مارس 1632 م، وقدم تقريرا إلى حكومة استانبول عن أعمال محمد الساقزلي داي.

4- حكم محمد الساقزلي داي (1631- 1633) ثم واليا (1633- 1649)

أرسلت حكومة استانبول واليا جديدا يدعي رباني باشا (1632-1633)، الذي وصل طرابلس في حاشية كبيرة، فاستقبله محمد الساقزلي داي، بالحفاوة والتكريم، واتخذ مقره قصر درغوث باشا.أعد محمد الساقزلي داي، خطة لتجريد هذا الوالي من سلطاته، ليتفرد هو بالحكم المطلق داخل ايالة طرابلس، وفي الوقت نفسه، حاول رباني باشا، التقليل من سلطة محمد الساقزلي داي، لكن الباشا كان يعمل بطريقة طائشة بإنفاق الأموال الطائلة لكسب ضباط الانكشارية إلى جانبه.

لم تكن الأمور على ما يبدو، تسير لصالح الباشا فالمكلفين بجباية الضرائب، لم يقوموا بواجبهم على النحو المطلوب، ويقال أنهم اتخذوا هذا الموقف بالتفاهم مع محمد الساقزلي داي، كذلك فان أعمال القرصنة لم تدر أي دخل خلال هذه المدة، فتأخرت رواتب الجند، وبدأ التذمر يدب في صفوفهم.

أضطر الباشا إلى طلب بعض المال من محمد الساقزلي داي، وباع ورهن أملاكه التي قدرت بحوالي 25 ألف سكودو، ولكن كل ذلك لم ينقذه من الأزمة. عندها أدرك

مدى الخطر الذي يهدد حياته، فأظهر لداي، رغبته في الانسحاب من الولاية والعودة إلى استانبول.

انتهز محمد الساقزلي داي هذه الفرصة، وأجبره على التصريح كتابة بأنه قد تنازل بمحض إرادته عن ولاية طرابلس دون أية ضغوط أو سوء معاملة أو عنف. فوافق الباشا على ذلك، وكر عائدا إلى استانبول 1633.

جهّز محمد الساقزلي داي، مركبا سريعا برئاسة الريس يوسف، محملا برسالة، شرحت للصدر الأعظم وضع ايالة طرابلس، وزوده بالهدايا الثمينة. كما وجهت رسائل أخرى للشخصيات المتنفذة في الدولة العثمانية مع الهدايا القيمة، وأطلق عدة تصريحات تقليدية. كانت تعبر عن الولاء والخضوع للسلطان العثماني، والتصميم على خدمته بتفان وإخلاص.

لم يكن محمد الساقزلي داي، شخصية نكرة لدى حكومة استانبول، فقد عرف بشجاعته وغزواته البحرية. كما أصبح لدى حكومة استانبول اقتناع عام، بفشل الولاة المتعاقبين والاضطرابات المستمرة، وقد شمل التقصير الوالي رباني نفسه، الذي تنازل عن الايالة بمحض إرادته تاركا الجيش في تدمر. لذلك قام الصدر الأعظم بإبلاغ السلطان بالأمر، وحصل منه على الموافقة بتعيين محمد الساقزلي داي، واليا وتسليمه علم السلطان. فوصل الريس يوسف قرب نهاية عام 1633 م، إلى طرابلس، وجرى الإعلان بتقليد محمد الساقزلي لسلطتي الداي والوالي لحكم طرابلس من 1633-1649 م.

،احتكر محمد الساقزلي كافة السلطات في يده، وحل الديوان، وأخذ بنظام الحكم الفردي الأوتوقراطي، يؤده الجيش في كافة إجراءاته، وأعدم عددا من الضباط الذين رفضوا نظامه الجديد، وسجن بعضهم وجرد آخرين من مناصبهم.وتصالح مع زعماء الدواخل، ورد لأبناء نوير جزء من أملاكهم بشرط عدم إثارة القلاقل. كما أهتم بتجميل مدينة طرابلس، حيث أنشئت المباني الأنيقة ذات دورين وأبواب تحف بها من الجانبين أعمدة رخامية. وقد تميزت المساكن بحجراتها الطويلة الضيقة وأسقفها المزخرفة، كما أعد

الفناء بطريقة مريحة للنساء. وكانت هناك قاعات مخصصة للاستقبال والاجتماع، وشيدت عدة مصائف في ضواحي طرابلس.

وتمكن من القضاء على الانتفاضات وكانت أهمها: انتفاضة جبر بن موسى في تاورغاء عام 1633 م، وهبة أحمد عبد الهادي في أوجلة وما جاورها في نفس العام، وتمكنت قواته من القضاء على اللصوص وقطاع الطرق، كما أنشأ قوة برية من الفرسان، كانت نواة لجيش ليبيا فيما بعد، وأرسل قوة لإخماد انتفاضة برقة حيث أرسل إليها جيشين أحدهما بقيادة عثمان الساقزلي، والأخر بقيادة يوسف بك، فتمكنا من إخضاعها وأصبح يوسف بك حاكما عليها، وأتخذ بنغازي مقرا له.

ثم انصرف محمد الساقزلي إلى تنظيم الشؤون المالية، فكانت مصادر الدخل في عهده، تتكون من الضريبة السنوية المقررة على أشجار النخيل والزيتون والإبل والأغنام وأبار المياه العذبة [25]. وعيّن في كل مقاطعة موظف يدعى الجابي، مهمته جباية الضرائب، توجد تحت تصرفه حامية صغيرة لإجبار الناس على دفع الضرائب بالقوة إذا لزم الأمر.أما المصدر الأخر لدخل الايالة فكانت الجمارك والأموال المصادرة من المحكوم عليهم سياسيا أو جنائيا.

وكانت العائدات البحرية، تشكل المورد الثالث للدخل، وجلبت أعمال القرصنة دخلا كبيرا إلى خزينة الدولة.

نهايته:

مات محمد الساقزلي باشا متأثر بالسم البطيء المفعول الذي دس له في تفاحة فكانت وفاته في فجر 28 سبتمبر 1649 م، وقد ترك خزينة الدولة في حالة حسنة، وبلغ عدد الأسرى الأوربيين عند وفاته 650 أسيرا.

هـ- حكم عثمان الساقزلي دايا ووااليا 1649- 1672

تولى الحكم في 29 سبتمبر 1649 م، عقب وفاة محمد الساقزلي، فبايعه كل الحاضرين في قاعة الديوان وأقسموا أمامه يمين الطاعة والولاء، بعد ذلك أمر باستدعاء كبار ضباط الانكشارية، الذين مثلوا أمامه، وأدوا يمين الولاء والطاعة.

وفي اليوم التالي لتنصيبه واليا ودايا، على ايالة طرابلس الغرب، أرسل رسولين إلى استامبول، ومعهم كالعادة، الهدايا الثمينة التي كانت موجهة للسلطان محمد الرابع والصدر الأعظم، وسرعان ما تلقى فرمانا سلطانيا يثبته في منصبه، ولم تعرض عليه أية شروط سوى العمل على إثراء ايالته، وإقامة التحصينات فيها، وزيادة عدد سفنها، والتعهد بقاتلة أعداء الإمبراطورية العثمانية.

بلغت ليبيا في فترة حكمه، مركزا ممتازا بين الدول، وأهتم بإنشاء ترسانة بحرية، وتسليح أربع وعشرون سفينة، واستعاد الأسطول في عهده مدينة بنغازي، وسيطر على درنة، وتم إعدام حاكمها المدعو حمودة تاغرن. كما اشتركت وحدات بحرية، كانت تتكون من قراصنة طرابلس وتونس، في هذه الحرب البحرية، ضد البنادقة لصالح الدولة العثمانية.

وبذل عثمان الساقزلي باشا جهودا كبيرة لتحسين وسائل الدفاع والقلاع والحصون، وتجميل مدينة طرابلس، مقتديا بخطى سلفه محمد الساقزلي. لكن سرعان ما تغيرت سياسة هذا الوالي وأحتكر معظم الحاصلات الزراعية، واستأثر بالغنائم التي كانت تعود بها السفن الليبية، وعمل على زيادة الضرائب. فكان ذلك سببا في انتفاضة كل من الأهالي والجند عليه عام 1672 م، بسبب التقسيم غير العادل للغنائم البحرية الوفيرة والثمينة، حيث خصص هذا الوالي عشرين آلف سكودو لتقسيمها على القواد بحيث نال كل انكشاري عشر سكودو فقط.

وفي اليوم المقرر لصرف المرتبات لقوات الانكشارية الموافق يوم 19 نوفمبر من نفس العام. والذين توفرت لديهم القناعة بأن حقوقهم قد اغتصبت وأنهم تعرضوا لظلم

فادح في تقسيم الغنائم. واحتجاجا على ذلك، رفضت عناصر كثيرة من الانكشارية، استلام مخصصاتهم عن ثلاث شهور، في حين قبلتها عناصر أخرى.

وفي 29 من الشهر نفسه، قررت القوات الانكشارية القيام بحركة عصيان، وامتشقوا السلاح وحاصروا منزل الوالي عثمان الساقزلي الكائن في قلعة طرابلس، فخشي هذا الوالي سوء العاقبة التي تنتظره، وأقدم على الانتحار في نهاية الشهر نفسه، ودفن قرب مسجد درغوث باشا.

المطلب الرابع: حكم الفوضى والاضطرابات (1672- 1711):-

تميزت هذه المرحلة، بتعدد حكم الولاة، فبعضهم لم يدم في الحكم سوى أيام أو أشهر قليلة، ففي الفترة من 1672 حتى 1687 بلغ عدد الولاة في ايالة طرابلس الغرب نحو اثني عشر واليا في مدة لا تتجاوز خمسة عشر عاما. فامتلاء هذا العهد بالفتنة والاضطرابات والفوضى.

حتى وصل إلى حكم الايالة وال جديد هو محمد الإمام (1687-1701) وهو من الجند الانكشارية، إلا أنه كان خيرا، تقيا، فأطلق عليه الإمام، ولقب شائب العين. أبدى اهتماما ملحوظا بتحصين البلاد، وترميم قلعة طرابلس، وصيانة الأسطول، وتنشيط الحركة التجارية، وأنشأ سوق الترك، وبنى مسجدا مشهورا، سمي بمسجد شائب العين. مازال يحمل اسمه في سوق الترك بالمدينة القديمة بطرابلس.

أولى محمد إمام داي اهتماما كبيرا بتطبيق فرائض الشريعة الإسلامية، وكان له علاقة جيدة بالعلماء، وكثيرا ما كان يؤم المصلين في جامعه، وأهتم بإنشاء المدارس.

أما عن السياسة الخارجية لايالة طرابلس الغرب في عهد الإمام محمد داي فقد أتبع سياسة نشطة في هذا المجال، حيث عقد المعاهدات مع فرنس وبريطانيا وتبادل العلاقات الدبلوماسية مع تونس والجزائر. وقد حاول فسخ الاتفاقية المهينة التي عقدتها الحكومة الطرابلسية في عهد عبد الله الازمرلي (1684-1687) مع الحكومة الأسبانية التي منحت للقنصل الأسباني حرية كبرى للتصرف في ايالة طرابلس، فوجهت الحكومة الأسبانية

أسطولا كان يتكون من خمسة عشر قطعة حربية ضد حكومة طرابلس الغرب. لكن القوات الطرابلسية تمكنت من الصمود، وفشلت أهداف الحملة العسكرية الأسبانية في تحقيق أهدافها.

شهد عهد هذا الوالي بعض الهبات والانتفاضات:

أ- هبة الناصر بن جهين في فزان 1694م.

ب- هبة منصور بن خليفة في برقة وسرت 1697م.

ج- هبة عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي في تاورغاء 1699م.

أ- هبة الناصر بن جهين (حاكم فزان) 1694 م

رفض ناصر شيخ فزان دفع الضريبة السنوية لوالي طرابلس الغرب، فوجه إليه عام 1694 م، قوات انكشارية بقيادة يوسف بك، دارت عدة معارك من قرب من مدينة مرزق، ولم يتمكن أي من الجانبين من تحقيق النصر.

عند ذلك لجأت القوات الانكشارية إلى شق صفوف الثائرين. فكان من نتيجة ذلك وقوع شيخ فزان في الأسر، حيث عاد به يوسف بك إلى طرابلس تحف به مظاهر العظمة، ولم ينسى القائد التركي أن يأخذ من خزينة الأسرة الحاكمة في فزان، وعين أبن عمه محمد الغزال بلا من الناصر ممثلا لداي طرابلس.

وبعد خمسة أشهر من ذلك، عاد أهالي فزان إلى تجديد انتفاضتهم وقاموا بقتل محمد الغزالي، وانتخبوا تمتم بن جمعة شيخا لفزان، فسارع محمد الإمام داي الى إرسال قوات برئاسة الموكاني (علي المكن) وهو ابن عم محمد الغزال لقمع هذه الانتفاضة الجديدة.

فاعتمد تمتم بن جمعة، تكتيك الابتعاد عن الصدام المباشر، وبذلك تسببت قوات يوسف بك في عرقلة الحركة الطبيعية للقوافل التجارية المتجهة عبر فزان من أواسط أفريقيا إلى طرابلس الغرب، وأدت هذه العمليات إلى انقطاع التجارة التي كانت مزدهرة أيام الناصر، فتقلصت عائدات خزانة طرابلس.

لذلك رأى محمد الإمام داي أن يطلق سراح الشيخ الناصر بن جهين ويعينه شيخا على فزان مقابل أن يلتزم بدفع الإتاوة المقررة ويغدو تابعا لايالة طرابلس الغرب. وقد

كانت أوضاع قوات الانكشارية في فزان قد تدهور حيث أمكن إلقاء القبض على الموكاني وزج به في السجن، فسارع يوسف بك لمساعدة الانكشارية وأطلق سراح الموكاني، وعاد الناصر للسلطة، وأخذ الوضع يستقر في فزان.

ب- هبة منصور بن خليفة في برقة وسرت 1697 م

تعرض منصور بن خليفة لظلم الانكشارية، فأثار أهل ترهونة الذين كانوا ساخطين لمضايقات الانكشارية للأهالي. فتقدمت القوات العثمانية تجاه ترهونة مما أجبر منصور بن خليفة على الانسحاب بقواته إلى منطقة تاورغاء، ولم يكن قد استكمل تشكيل قواته من السكان المؤيدين لحركته.

غير أنه اضطر لمواجهة قوات الانكشارية عام 1697 م في معركة حدثت جنوب تاورغاء وتمكنت قواته من إلحاق هزيمة ساحقة بالقوات الانكشارية التي كانت بقيادة يوسف بك، لذلك قامت السلطة باستبداله بخليل بك الارناؤوطي، فاضطر منصور بن خليفة للتوجه بقواته نحو سرت وتوغلت قواته حتى حدود برقة. فاتصل محمد الإمام داي بحاكم برقة (محمد بن محمود) طالبا منه إلقاء القبض على منصور بن خليفة [26]. فقام حاكم برقة بتوحيد قواته في درنة وبنغازي مع بعض المتطوعين من قبيلة البراعصة وأولاد علي، فوصل عدد قواته نحو 1,200 مقاتل، تمكنت هذه القوات من إلحاق هزيمة بقوات منصور بن خليفة أما هو فقد تمكن من العودة مرة أخرى إلى ترهونة.

ج- هبة عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي 1699- 1700 م

قامت هذه الانتفاضة في منطقة تاورغاء من جميع الساخطين على الحكم التركي في تلك المنطقة، بالإضافة إلى قبيلة أولاد سليمان، وتمكنت قوات الانكشارية بقيادة خليل بك الارناؤوطي من القضاء على هذه الانتفاضة عام 1700 م. وبعد عام نشبت انتفاضة عارمة تمكنت من الإطاحة بالداي محمد الإمام، فقام رئيس البحرية بنقله وعائلته إلى مصر ومنها تم نقلهم إلى استانبول.

وبعد ذلك مرت البلاد بفترة حرجة امتلأت بالدماء والانشقاقات والاضطرابات وتولى بعد محمد الإمام داي،نحو عشرة ولاة كان أخرهم محمود أبو ميس ففي 4 يوليو 1710 قرر محمد الجن داي الاستقرار في قلعة طرابلس وتناول طعام الغداء بها وأخذته سنة من النوم،فأقدم محمود أبو ميس (أمين خزينته) وبرفقته أربعة من أتباعه فذبحه ثم نزل إلى قاعة الديوان وبيده سيفا يقطر دما، وجلس على العرش. وقد سارعت عامة الشعب إلى مبايعته دايا لأنه عربيا، ولكن سرعان ما امتد بطشه إلى الكثيرين من قادة الانكشارية وغيرهم.

ثم اتجه للتخلص من احد أعيان الجند وهو أحمد القره مانلي إذ أرسله في مهمة إلى غريان وأعطاه رسالة إلى حاكمها يأمره فيها بقتل أحمد القره مانلي. لكن الأخير اكتشف المؤامرة قبل وصوله إلى غريان فكر راجعا إلى طرابلس ونجح في إثارة الأهالي وأطلع أعيان الديوان الذين حضروا مجلسا عاما، فقرروا عزل محمود أبو ميس بعد توليه مدة دامت خمس وعشرون يوما ونادوا بأحمد القره مانلي يوم 27 يوليو 1711 م واليا على البلاد وقدمت الوفود لمبايعته من مختلف الجهات [27].

هكذا انتهى عهد الدايات (العهد الانكشاري) الذي كان مليئا بالفوضى والفساد ولم يجن منه الشعب الليبي سوى الجمود والتخلف والصراعات بين ريّاس البحر والانكشارية.

هوامش الفصل الثاني

* درغوث مساعد قائد الأسطول العثماني سنان باشا وكان يرغب في قراره نفسه أن يكون هو الوالي على طرابلس، للمزيد انظر، أتوري روسي، طرابلس تحت حكم فرسان مالطا، مرجع سابق، ص 78. وأنظر الملحق رقم (1) بخصوص باشاوات طرابلس. والواقع ان تعاقب باشاوات طرابلس يثير عدة إشكاليات حيث تتضارب المعلومات حول أعدادهم لذلك اعتمدنا الحوليات الليبية لأنها أقرب الى الصواب.

1- حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، طرابلس: سجل العرب، 1962، ص 173.

2- رأفت غيتمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، طرابلس: دار النهضة للنشر والتوزيع، ط 1، 1972، ص 32.

3- علي الميلودي عموره، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، طرابلس: دار الفرجاني، 1993، ص 218-221.

4- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 71، 72.

5- ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ترجمة عماد غانم، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، ط 1، 1991، ص 30.

6- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت: دار الجليل، 1977، ص 42. وأنظر أيضا مجموعة المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، القاهرة: دار الشعب، د.ت، ص 111.

7- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 143.

8- شارل فيرو، مرجع سابق، ص 751. مع ملاحظة أن سنوات الحكم لهؤلاء الولاة مختلف من مرجع لأخر فاعتمدنا المرجع المذكور.

9- ن.إ.بروشين، مرجع سابق، ص 57.

10- محمد الأسطى، ثورة يحيى بن يحيى السويدي، طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، العدد 1، 1982، ص 141.

11- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 155. وأنظر أيضا، ابن غلبون، مرجع سابق، ص 154.

12- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 155.

13- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 146. وأنظر أيضا شارل فبرو، مرجع سابق، ص 156.

14- شارل فبرو، مرجع سابق، نفس الصفحة.

15- المرجع نفسه، ص 157.

16- تاريخنا جـ 5، ص 55. وأنظر شارل فبرو، مرجع سابق، ص 158.

17- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 751، 752.

18- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 105.

19- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 752.

20- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 146. وأنظر شارل فبرو، مرجع سابق، ص 165.

21- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 111.

22- المرجع نفسه، ص 116.

23- شارل فبرو، مرجع سابق، ص 166.

24- كوستانزيو برنيا، مرجع سابق، ص 120.

* يدعى محمد كيو الساقزلي نسبة الى جزيرة كيو (Chio) باليونان، وهو من مواليد 1607، كان من أحسن قادة القراصنة، تزوج من ابنة رمضان داي. كان قد وضع خطة للوصول الى الحكم بعد عودته في أكتوبر 1931 بقرصانه، حيث أقام حفلة فاخرة لاصدقائه وطلب منهم، معاونته في الأمر، وتمت المؤامرة. للمزيد راجع، شارل فبرو، مرجع سابق، ص 171، 172.

25- مصطفى خوجه، تاريخ فزان، تحقيق حبيب وداى الحسناوي، طرابلس: منشورات مركز الجهاد، 1989، ص 61.

26- عزيز سامح، مرجع سابق، ص 138.

27- ابن غلبون، مرجع سابق، ص 208.